



تختلف طرق التدفئة التي يعتمد عليها السوريون هذا الشتاء تبعاً للمنطقة التي يعيشون فيها وحالتهم الاقتصادي، مع ذلك، فإن الحصول على الدفء لم يعد أمراً يسيراً للكثيرين، بل بات مستحيلاً للبعض منهم، تعتمد معظم البيوت في سوريا على الحطب، خصوصاً في المناطق الريفية.

وتقدر حاجة الأسرة الواحدة منه خلال فصل الشتاء بنحو طنين، فيما يراوح سعر الطن الواحد ما بين 125 دولاراً أميركياً و150، بائعو الحطب باتوا منتشرين بكثرة في كل المناطق من دون استثناء، سواء الخاضعة لسيطرة النظام أو المعارضة. فقد استبدلت معظم العائلات مدافئ المازوت بمدافئ الحطب، وباتت تجارة الأخير هي الأكثر رواجاً.

يقول حكمت منصور، من دمشق: "أجرينا تعديلاً في شكل المدفأة عند الحداد لتلائم الحطب، يعيش أهلي في قرية ساحلية، وحين ذهب وجدت أنّ معظم الأراضي المحيطة بها بانت جرداً، يقطع تجار الحطب الأشجار ويبيعونها في الأسواق وينقاسمون أرباحها مع القوات التي تسيطر على المنطقة. وحين اعترض أهالي قريتي على قطع الأشجار قالوا لهم إنهم يقطعونها لأسباب أمنية".

الاعتماد على الحطب:

عائلة أبو محمد الغساني، في ريف إدلب، تعتمد أيضاً على الحطب. يقول أبو محمد: "قلّمنا أشجار الزيتون وخزنّناها ويسّناها. تمدنا بالكثير من الدفء كونها غنية بالزيوت، هذا ما يفعله معظم أصحاب أراضي الزيتون في القرية. من لا يملكون مثلها يشترون حطب السرو أو الكينا من الأسواق".

يعتبر المازوت الآتي من مناطق سيطرة تنظيم "داعش" المصدر الوحيد للوقود في العديد من المناطق الخاضعة لسيطرة المعارضة، يبيعه التنظيم للتجار الذين يبيعونه بدورهم إما في مناطق المعارضة أو لسماسرة مناطق النظام، مصدر هذا النوع من المازوت لم يعد خافياً على أحد فهو يتميز بلونه القاتم ورائحته الكريهة والواخزة، كونه مكرر بطريقة بدائية أو غير مكرر على الإطلاق، وبات منتشرًا في العديد من المناطق السورية في السوق السوداء.

يُعرف في الأسواق باسم "مازوت داعش" أو "المازوت الأسود"، ويُباع الليتر الواحد منه في حال توفره بنصف دولار، ويرتفع سعره إلى أكثر من 4 دولارات أحياناً، يوضح أحمد، الذي يعمل سائقاً في حلب، أنّ "احتواء هذا المازوت على الشوائب يتسبب بأضرار صحية، إذ يصاب العديد من بائعيه بأمراض وتقرحات جلدية والتهابات تنفسية".

تقول أم أحمد، من إدلب، إنّ "رائحة المازوت الأسود كريهة للغاية وقد تسبب الدوخة، لكننا مضطرون لاستعماله، سعره مرتفع ولا أشعّل المدفأة أكثر من 3 إلى 4 ساعات فقط في المساء، ندفع 35 دولاراً شهرياً ثمناً للمازوت، بينما لا يجيء زوجي أكثر من 80 دولاراً، مع هذا فنحن أفضل حالاً من غيرنا، فمعظم العائلات هنا لا تحصل على هذا الدخل".

ظروف إنسانية صعبة:

أما في المناطق المحاصرة، فتعيش آلاف العائلات السورية في ظل منع دخول جميع أنواع المحروقات، ما دفع سكانها لابتكار طرق جديدة للتوفير، من ذلك استخراج مادتي المازوت والبنزين من البلاستيك في غوطه دمشق وهي الوعر في حمص، يوضح عمار الدمشقي من ريف دمشق أنّ "ورشات استخراج مازوت البلاستيك تجمع المواد البلاستيكية غالباً من مخلفات القصف بالإضافة إلى ما يتبرع به الأهالي من القطع البلاستيكية غير المستعملة".

يتتابع: "في حال توفر الكميات الكافية من البلاستيك يمكن للورشة أن تستخرج نحو 50 ليتراً من المازوت والبنزين منها. وكل 10 كيلوغرامات من البلاستيك يمكن أن تنتج 8 ليترات بنزين ومازوت"، يباع الليتر الواحد من هذا النوع بما لا يتعدي دولاراً ونصف دولار بحسب توفره، ويصنف من المحروقات الرديئة كونه يحتوي على شوائب ويصدر ابتعاثات ضارة خلال تصنيعه وإحراقه.

وقد يتسبب بمخاطر كبيرة على صحة الناس، يقول عمار: "استخدمه المحاصرون في أغراض هامة، كتشغيل آليات للنقل وتشغيل بعض المولدات لاستخراج المياه، كما استخدم للتوفير، لا نعرف إن كان يسبب الضرر حقاً.. أحد صدقائي ويدعى حمدان، كان يعمل معنا باستخراج هذا النوع من المازوت العام الماضي، لكنه أصيب بالسرطان وتوفي بعد عدة أشهر، يقول أهله إنّ استخراج المازوت سبب له السرطان.. لا أعرف إن كان هذا دقيقاً".

داخل البيوت الأكثر فقرًا تصبح خيارات التوفير محدودة أكثر، ويمكن لأي شيء قابل للاحتراق أن يصبح وقوداً للتوفير، تقول المتقطعة في الهلال الأحمر في حلب، هالة: "الكثير من العائلات لا تشتري أي نوع من وقود التوفير، دخلت منذ أيام إلى إحدى الغرف المتهالكة لنازحين كانت حيطانها حalka السواد، اكتشفنا أنهم يحرقون الورق والكرتون وأحياناً الأقمصة للتوفير".

الأطفال يبحثون عن الدفء:

يبحث الأطفال طوال النهار عن أي شيء قابل للاحتراق لتطبخ عليه أمهاتهم بعض الطعام ويحصلوا على الدفء منه مساءً، يتتابع: "أحد الأطفال كان يعاني من التهابات تنفسية حادة ويعاني آخرون من جفاف المجاري التنفسية"، تصيف: "صادف العديد من زملائي الحالة نفسها، الأخطر أنّ الآباء لا يدركون مدى خطورة هذه الأدخنة على صحتهم وصحة أطفالهم، ولا

بديل لديهم".

العربي الجديد

المصادر: